قضية التقدم العالمي ، كما انها بوزنها الكبير تقدم خدمة ضخمة لقضية التحرر الوطني » .

والمناسبة الثانية في حديث اعطاه لجريدة « لوموند » الفرنسية (١٩٧٠) حيث قال : « **ان العلاقات التي نقيمها مع الروس هي علاقات فريدة من نوعها .. انهم لا يحاولون حتى التأثير في افكارنا . والآلاف الخمسة من الخبراء الفنيين الذين ارسلوهم الينا من اجل بناء السد العالي في اسوان لم يحاولوا ابدا نشر الماركسية عندنا ، مع انني لست معاديا لهذه الايديولوجية واحمل اعجابا كبيرا بلينين . غير ان الروس لم يطلبوا اي شيء مقابل دعمهم لنا ، وقد يدهشكم هذا** » .

ان ما جاء على لسان عبد الناصر بهذا الشكل نستطيع ان نقوله بكلام آخر وهو ان الاتحاد السوفياتي ، منذ ثورة اوكتوبر حتى اليوم ، عندما يتعامل مع حركة وطنية ثورية معادية للامبريالية ، انما يأخذ بعين الاعتبار في آن واحد المصالح الاساسية لتطور العملية الثورية على الصعيد العالمي والمصالح الاساسية لتطور العملية الثورية للبلد المعني . وهو لا ينظر الى الدور الذي يقوم به استنادا الى الموقف الذي يتخذ ازاءه من بعض القوى اليمينية المحافظة في الحركة الوطنية ، لانه يعتقد ان مصائر هذه الحركة لا ترتبط بموقف اشخاص مهما كانت المواقع التي يحتلونها ، بل هي مرتبطة بجماهير الكادحين ، اي بالاكثرية الساحقة للشعب التي ترتبط مصالحها مع مصلحة تطور الحركة الوطنية وتعمق محتواها ، لانه يرى تأثيرا موضوعيا متبادلا بين تطور الحركة الثورية في بلد معين وتطور كل الحركة الثورية على الصعيد العالمي .

هنا لا بد من نظرة موضوعية الى المراحل التي تطورت فيها العلاقة بين الاتحاد السوفياتي والبلدان العربية خلال نصف القرن الذي مضى .

خلال استعراضنا للاحداث ، نستنتج ان هذه العلاقة كانت تزداد قوة او تضعف بفعل المواقف التي كانت تتخذها قيادات حركة التحرر الوطني العربية . وكان هذا التغير في قوة العلاقة او ضعفها يعود الى امرين : المرحلة التاريخية والمهمات المطروحة في اطارها امام حركة التحرر الوطني ، من جهة ، وطبيعة القوى الطبقية المهيمنة في قيادة حركة التحرر الوطني ، من جهة ثانية .

اما بالنسبة للاتحاد السوفياتي نفسه ، فان موقفه الاساسي لم يتغير لان ايديولوجيته التي أملت عليه موقفا مبدئيا من نضال الشعوب في سبيل تحررها وتقدمها لم تتغير ، وانما الذي تغير فعليا هو ان قوة الاتحاد السوفياتي تزداد اكثر فأكثر وتزداد معها امكانياته في تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية والسياسية للبلدان النامية ولحركتها الثورية ، وذلك في اطار تغير ميزان القوى العالمي لصالح الاشتراكية، هذا الميزان الذي تشكل حركة التحرر الوطني جزءا لا يتجزأ منه ، ومصيرها كحركة تحرر وطني مرتبط بتغيره المستمر موضوعيا لصالح الاشتراكية .

اننا حين نتحدث عن الدور الذي يلعبه الاتحاد السوفياتي في تقديم المساعدات للبلدان النامية وحركتها الوطنية الثورية ، انما نتحدث عن الامكانيات الموضوعية . وهي نقطة هامة ينبغي الا تغيب عند التحليل . فللاتحاد السوفياتي مسؤوليات داخلية ، النجاح في عملية بناء الشيوعية ، ومسؤوليات على صعيد المنظومة الاشتراكية ، المساعدة في تقوية التكامل الاقتصادي وبناء دفاع قوي ضد المخططات العدوانية الامبريالية ، ومسؤوليات دولية ، الاسهام بدور اساسي في نضال الشعوب من اجل السلم والتعايش السلمي ودرء خطر حرب نووية مدمرة ، فضلا عن